الزهايمر و المسنون
حجم المشكلة .. بالأرقام

حين كنت أتأمل الناس من حولى وأنا أتجول في بعض مدن بريطانيا وقت إقامتى هناك أيام الدراسة كان يخيل إلى أننى في مكان مخصص لكبار السن فقط ، فغالبية من تقع عليهم عينيك وأنت تسير في الشارع أو تجلس في المقاهى والمطاعم أو بالحدائق العامة أو وسائل المواصلات هم من المسنين بمظهرهم المميز وبعضهم لا يكاد يقوى على الحركة ، والبعض الآخر يستخدم الكراسى المتحركة أو عكازاً يستند اليه في حركته، وليس هذا مجرد انطباع شخصى فقد ثبت من خلال الإحصائيات أن أكبر عدد من المسنين في العالم يوجد في أوربا مقارنة بقارات العالم الأخرى.

وباستخدام لغة الأرقام يمكن أن نحيط بجانب هام من مشكلة الشيخوخة يتمثل في معرفتنا للأعداد المتزايدة من المسنين ونسبتهم الى عدد السكان في بلدان العالم المختلفة، وعلاوة على ذلك يمكن بتحليل الأرقام أيضاً التعرف على اتجاه تزايد أعداد المسنين على مستوى الدول المتقدمة والنامية مع الوقت مما يفيد في التنبؤ بما سيكون عليه الحال مع بداية القرن التالى.

وتفيد الأرقام المأخوذة عن إحصائيات السكان في الثمانينات أن نسبة المسنين الى مجموع السكان في دول أوربا وأمريكا الشمالية تفوق كثيراً نسبة المسنين في دول أفريقيا وأسيا وأمريكا اللاتينية ، مثال ذلك نسبة ممن تزيد أعمارهم على ٦٠ سنة في السويد والنرويج تصل تقريباً الى ٢٢٪ من السكان، وفى

بريطانيا ٢٠٪ ، وفى الولايات المتحدة ١٥٪، بينما في دول العالم الثالث تقل نسبة المسنين لتصل نسبة من هم فوق الـ٦٠ في مصر الى حوالى ٦٪ ، وفى الهند ٥٪ فقط وتعنى هذه الأرقام أن في مصر حوالى ٣ مليون شخص فوق سن الـ ٦٠ ، بينما يبلغ عدد من هم فوق الستين في الولايات المتحدة ما يقرب من ٣٤ مليون شخص.

وإذا كانت هذه الأرقام دليلاً على وجود أعداد متزايدة من المسنين في فترة الثمانينات فقد يكون من المفيد محاولة التعرف على ما سيكون عليه الوضع بعد بضع سنين حين يبدأ القرن القادم بالنسبة لعدد المسنين في العالم ، ولتبسيط الحقائق باستخدام لغة الأرقام ليمكن لنا أن نستوعب ماهو متوقع لنا أن نعلم أن سكان العالم حالياً(بإحصائيات الثمانينيات أيضاً) تعدادهم حوالى ٤,٥ مليار انسان ، من المتوقع أن يصل سكان العالم عام ٢٠٠٠ الى ٦,٢ مليار انسان بزيادة نسبتها ٣٨٪ تقريباً بالنسبة للسكان ككل.

أما بالنسبة للمسنين فإن من المتوقع زيادة أعدادهم في العالم بنسبة تتراوح بين ٥٧٪ " الصغار " المسنين أي من هم في سن(٦٠-٧٠ سنة)، وبين٦٠٪ للطاعنين في السن(فوق ٨٠ سنة)، وهذه الزيادة في نسبة المسنين مقارنة بعددهم في الوقت الحالي تفوق الزيادة في القطاعات المختلفة من السكان التي ذكرنا أنها ٣٨٪ فقط. وتحليل هذه الأرقام التي ذكرناها آنفاً يدعو إلي مزيد من القلق ، ذلك أن المسنين كما ذكرنا في وضع سابق لا يشكلون مجموعة متجانسة بل مجموعات ثلاث هي "صغار" المسنين ، وكبار المسنين ، والطاعنين في السن ، كذلك فإن اتجاه تزايد اعداد هذه المجموعات الثلاث لن يكون بنفس النسبة ، ومن المتوقع أن تكون الزيادة محدودة في " الصغار" ممن هم فوق الستين وحتي السبعين ، بينما تكون الزيادة أكبر

في مجموعة " كبار " المسنين ممن همَ بين السبعين والثمانين ، لكن الأهم من ذلك أن الزيادة في اعداد الطاعنين في السن ممن هم فوق الثمانين سوف تكون كبيرة جداً ومعني هذا أن عدد هؤلاء المسنين الذين يتقدم بهم العمر ويعانون من الوهم والشيخوخة في أشد حالاتها سوف يتضاعف مع ما يتبع ذلك من مشكلات الشيخوخة المختلفة .

ولتوضيح أهمية وخطورة اتجاه تزايد اعداد المسنين من الناحية الكمية وكذلك من الناحية النوعية بزيادة اعداد الطاعنين في السن بصفة خاصة نذكر هنا الأرقام التي تصف الحال في بريطانيا علي سبيل المثال كأحدى دول العالم المتقدم التي تتجسد فيها مشكلة الشيخوخة بشكل واضح ؛ فتعداد السكان في بريطانيا يبلغ ٥٥,٩ مليون نسمة (احصاء عام ١٩٨٠) ، ومن المتوقع أن يصل عدد السكان هناك في عام ٢٠٠٠ إلي ٥٥,٢ مليون نسمة (وهذا يعني تناقص عدد السكان بصفة عامة هناك بنسبة ١٪ بعد عدة سنوات وليس زيادتها بنسب خطيرة كما هو الحال في مصر) ، وهذا لايمثل مشكلة هامة ، لكن الأهم والأخطر هو نسبة المسنين في عدد السكان في عام ٢٠٠٠ ، فرغم تناقص عدد الناس هناك إلا أن المسنين سوف يزداد عددهم ، والادهي من ذلك أن فئة صغار المسنين لن تكون زيادتها كبيرة (ستزيد في حدود ١٪) ، لكن الزيادة سوف تكون في كبار المسنين بنسبة ١١٪ ، وفي الطاعنين في السن بنسبة تصل إلي ٢٨,٥ ٪ ، وهذه مؤشرات خطيرة ، إنني اتصور المجتمع هناك قد تحول إلي مجموعات كبيرة من كبار المسنين تتطلب رعايتهم جهود بقية أفراد المجتمع هناك، وما يشغل بال السلطات هناك أيضاً هو النفقات التى تتطلبها الرعاية الصحية والأجتماعية لهذه الأعداد الهائلة من المسنين والتى تزيد

كل عام بمعدل ١٪ تقريباً إضافة الى ٥٪ نتيجة التضخم ، فقد وجد بحسابات الوقت الحالى أن تكاليف الرعاية الصحية للشخص العادى في بريطانيا تبلغ حوالى ٨٥ جنيهاً استرلينياً في العام ، بينما تبلغ هذه التكلفة بالنسبة للمسن مبلغ ٧٦٥ جنيهاً استرلينياً، وهذا يعنى أن المسن الواحد تكلف رعايته الطبية ما يوازى تكلفة ٩ من صغار السن .

وإذا كان هذا هو الوضع والتوقعات في العالم المتقدم فماذا عن الدول النامية؟ الواضح أنه في دول العالم الثالث وفى غياب الأحصائيات الدقيقة عن أعداد المسنين ، فإنه لايمكن التنبؤ بصورة علمية عن واقع الأرقام بما سيكون عليه الوضع بعد سنوات ، لكن الأرجح أن زيادة أعداد المسنين ، فإنه لا يمكن التنبؤ بصورة علمية من واقع الأرقام بما سيكون عليه الوضع بعد سنوات ، لكن الأرجح أن زيادة أعداد المسنين سوف تشكل هنا أيضاً عبئاً ثقيلاً على الخدمات الصحية التى لا تكاد تفى بمتطلبات المرضى نتيجة لنقص الموارد والأمكانات ، ذلك علاوة على المشكلات المختلفة التى تثقل كاهل الدول النامية ، وتضع موضوعاً مثل رعاية المسنين في مؤخرة الأولويات التى تفكر بها السلطات هناك مما يزيد من تعقيد الأمور بالنسبة لكبار السن في دول العالم الثالث.

ولا يقتصر التنبؤ بالأرقام على تعداد السكان ونسبة المسنين، لكن لغة الأرقام من الممكن أن تصف لنا متوسط عدد السنوات التى سوف تمتد اليها حياة الناس رجالاً ونساءً في مجتمع ما،ولا يعنى ذلك أن العمر بالنسبة للإنسان يمكن أن يطول ويقصر بتغير المكان أو الزمان،فقد ثبت أن مدى العمر أو الحد الأقصى للسنوات التى يعيشها الكائن البشرى له حدود ثابتة،أي أن الإنسان مهما طال به

العمر لا يمكن أن تزيد سنواته في الحياة عن رقم معين هو ١٢٠ من الأعوام، رغم إمكانية أن يضرب بعض الأفراد في أنحاء مختلفة من العالم هذا الرقم القياسى أو يزيدون عليه بشهور أو سنوات قليلة لكن ذلك نادر الحدوث على آي حال.

وكما أن الحد الأعلى لمدى عمر الإنسان هو رقم محدد فإن الأمر كذلك أيضاً بالنسبة لبقية المخلوقات حيث يتراوح عمرها الأفتراضى - إذا جازلنا هذا التعبير - في حدود ثابتة بالنسبة لكل نوع من الكائنات ، وهذا ينطبق على النباتات وأنواع الحشرات والزواحف والطيور والحيوانات المختلفة ، ومن أمثلة ذلك أن متوسط مدى العمر بالنسبة لبعض أنواع البكتيريا لا يزيد على دقائق معدودة وبعض أنواع الحشرات لا تزيد حياتها على عدة أيام، كما أن بعض النباتات الموسمية تذبل وتموت بعد انباتها ببضع شهور، أما في الحيوانات والطيور فإن لكل نوع مدة محددة لا يتعداها. في الحياة الدنيا قبل أن يشيخ وينتهى عهده بالحياة.

أما بالنسبة للإنسان فتفيد الأرقام في تحديد العمر المتوقع أن تطول اليه حياته عند ولادته،أما الحد الأقصى من العمر الذى ذكرناه فهو الاستثناء ولا علاقة له بظروف الانسان وبيئته فالانسان الذى كان يولد في روما القديمة(١٠٠سنةق م) كان من المتوقع ألا يزيد عمره على٢٣عاماً،ومع تغير الزمان أصبح الانسان يعيش في أيامنا هذه-حسب ما تتوقع له الأرقام عندما يبدأ عهده في الحياة-أضعاف هذه المدة،ويعتمد هذا التوقع على المجتمع وظروف البيئة التى يولد فيها الإنسان،ففى السويد مثلاً فإن العمر المتوقع هو٧٠سنة بالنسبة للرجال،٧٦سنة للسيدات،وفى دول العالم الثالث حيث ظروف الحياة تختلف عن الدول الغربية فإن متوسط العمر في الغالب يقل عن هذه الأرقام،ففى بعض الدول الأفريقية مثل تشاد لا يزيد

العمر المتوقع عن ٤٠ سنة للرجل،٤٥ سنة للمرأة،وفى مصر يقدر العمر المتوقع للرجل بحوالى ٥٦،وللمرأة ٦٠ سنة تقريباً.

إن الأرقام التى ذكرنا والتى جعلت من الممكن بأسلوب العلم التنبؤ بمتوسط العمر لكل انسان يولد في بلد ما من بلدان العالم، ومنها نلاحظ أن المرأة في كل الحالات أطول عمراً من الرجل، ولذلك فإن عدد النساء المتقدمات في العمر يفوق دائماً عدد نفس الفئة من الرجال في آي مجتمع ، كما نلاحظ أن فرصة امتداد الحياة كما تتوقع الإحصائيات أفضل في دول العالم المتقدمة مقارنة بالدول النامية والفقيرة ، وقد يرجع هذا الى الرعاية الصحية والاجتماعية ومستوى اللمعيشة والبيئة والغذاء وغير ذلك من المميزات التى يتمتع بها الناس في الدول المتقدمة، لكن ذلك يتسبب أيضاً في زيادة أعداد المسنين في هذه البلدان وفى مشكلات الشيخوخة المختلفة التى تعانى منها هذه المجتمعات أكثر من دول العالم الفقيرة.